NASS
مـــركـــز نـــون للدراســـات الاستـراتيـجيـة
Noon Association for Strategic Studies

دور اقليم كردستان في تعزيز الاستقرار والتنمية في محافظة نينوى

د. ضمير عبدالرزاق محمود

شباط 2021

Noon Association
for Strategic Studies
info@nooncenter.org
www.nooncenter.org

دور اقليم كردستان في تعزيز الاستقرار والتنمية في محافظة نينوى

د. ضمير عبدالرزاق محمود

أستوقفني كثيراً عنوان الندوة التي اقامها مركز نون للدراسات الاستراتيجية و الحوار بالاشتراك مع مركز رووداو للدراسات والمتضمن العلاقات العربية الكردية هذه المفردة التي استخدمت في حقب مختلفة من تاريخ العراق وكان الغرض من ذلك التوظيف لغايات سياسية ، واعتقد بتواضع شديد ان مفهوم العلاقة في العلوم السياسية يبحث في مديات العلاقة بين الدول والتي تحاول عبرها تحقيق اهداف مختلفة تصب في المصلحة القومية لها ، وقد تتعرض هذه العلاقة الى قطع او تشنج او ازمات تعمل السياسات على تدارك تداعياتها للعودة بها الى ما توصف بالعلاقات الطبيعية او الاعتيادية ، وعندما حاولت ان اوفق العنوان على حالة التعايش في محافظة نينوى استوقفتني الذاكرة في مشهدين الاول شخصي والثاني عام ، فقد ولدت في مجمع للسكن الحكومي في مدينة الموصل مع بداية الستينات وشاءت الصدف ان يكون الدار المجاور لنا تسكنه عائلة ميسحية والدارين المقابلين لدارنا تسكنهما عائلتين كرديتين تعود اصولهما الى محافظتي اربيل والسليمانية ، وصلنا الى الدراسة المتوسطة وكنا ندخل بيوت بعضنا بدون استئذان ونجلس لنأكل مع العوائل بدون تردد او دعوة ، يتكلمون مع بعضهم بلغتهم ويتكلمون معنا بلغتنا ، لم يثير اهلنا انتباهنا يوما اننا نختلف عنهم ، وهكذا سارت الاقدار الى اليوم الذي كنا فيه اول المغادرين للمجمع بسبب نقل والدي الى بغداد ، والمشهد الثاني تمحور في ذهني استذكارا لعدد من الشخصيات الوطنية العراقية سواء من السياسيين او الوزراء او قادة الجيش والمفكرين او الاطباء وغيرهم تعود اصولهم الى الكرد مثلاً مازالوا محل اعتزاز وفخر لجميع العراقيين على مواقفهم الوطنية ، وهذا ينسحب بالتأكيد على بقية المكونات المحترمة في العراق ، مثل هولاء الناس وهم الاكثرية لايحتاجون منا ومن غيرنا الكثير من العناء لإعادة العلاقات فيما بينهم لانها لم تنقطع اساسا بل تعززت بصلات اقوى الى ان وصل الحال اننا نجد عوائل موصلية على سبيل المثال تعود في اصولها الى الكرد او التركمان او الشبك او الايزيدية وفي الوقت نفسه نجد عوائل كردية تعود في اصولها الى عشائر عربية او غيرها .

ووفق ما ذكر لاننكر قطعا حصول شروخات او ربما تصدعات نتيجة ممارسات حكومية او سياسية خاطئة في حقب مختلفة من تاريخ الحياة السياسية للمجتمع العراقي ادت الى تشوهات وضبابية في الروئ نتجت عنها انعكاسات وتقاطعات بالمواقف وصلت الى حالة التخندق القومي او الطائفي او الديني ، ولا بد من الاعتراف ايضا ان قوى خارجية وداخلية عملت بوسائل مختلفة على تعميق حالة الانقسام لتحقيق اهداف تصب في مصلحتها باغطية مختلفة ، وكان التركيز بشكل واضح على الباس القضايا والوسائل والاشخاص اللبوس القومي او الديني او الطائفي مما انس او تناسى العديد منا ان الهوية الاكبر هي الهوية العراقية مع الاعتزاز الشديد بما ننتسب اليه من هويات اخرى تنسبنا الى عشائر وطوائف وقوميات واديان مختلفة ، لذلك نقول ان التمسك بالهوية الوطنية ليست سبة او منة من احد على احد ، فعندما نغادر بلدنا كمواطنين تتقدم الهوية العراقية على غيرها من الهويات وعندما نكون مسؤولين في الدولة نمثل العراق امام الدول الاخرى وهذا ينطبق على العالم والرياضي والفنان والكاتب وكل من يدخل حيزالمنافسة مع ممثلين لدول اخرى ، وعندما ندافع عن وطننا امام الاعداء نتوحد ونتراصف كعراقيين امام التحديات دون ان ننظر الى اصولنا واعراقنا.

وهنا حتما لانحاول ان نغطي على حقيقة ما وصل اليه مجتمعنا من تفشي حالة عدم الثقة والقبول بالاخر ، وكذلك عدم اليقين بالمستقبل الامن وهذا يجعلنا نعيش حالة من التردد والضياع والخوف والتهديد من المجهول واخطر تلك الصور ان القناعات والافكار بدأت تتوسع وتترسخ فيها مقولة ان التعايش مع الاخر اصبحت ضربا من الخيال وهي الصورة الاخطر في المشهد والتي يصعب معالجتها .

والسؤال الاهم الذي يحتاج الى اجابة في ضوء ظروف المرحلة الحالية على من تقع مسؤولية التغيير في واقع ما وصلنا اليه ؟ والاجابة عن ذلك بكل وضوح نقول ان المسؤولية الاكبر تقع على من يتصدر المشهد السياسي من احزاب وقوى سياسية على الرغم من فقدانها الكثير من رصيدها الشعبي نتيجة الاخفاقات المتوالية على الصعد المختلفة اذ شهدت حالات تراجع واضحة لا يصعب وصفها اثرت على عموم ابناء المجتمع العراقي ، الا ان واقع الحال يؤكد وبموجب الدستور القائم الذي يتفق الجميع انه يحتاج الى تعديلات في العديد من فقراته ان فرصة التغيير مازالت قائمة ويمكن ان يحصل ذلك بشكل سلمي دون الانجرار الى وسائل اخرى قد لاتعرف نتائجها وتداعياتها ان توافرت النية الصادقة في تحسين صورة وعمل هذه القوى والتي لابد من تقديمها مشاريع فاعلة للاصلاح تبدأ خطوتها الاولى بخلق قاعدة من التفاهم والتوافق الصادق بين هذه القوى نفسها حول المشتركات الوطنية واعادة النظر بالتمسك بالهويات الصغيرة على حساب الهوية الاكبر ومن خلال ذلك تبرز لنا بوضوح صورة الهوية الوطنية فضلا عن عقيدة واحدة ترسم معالم الدولة وسياستها الداخلية والخارجية .

ولا ناتي بجديد عندما نقول ان مدينة الموصل ومحافظة نينوى في العموم تعرضت الى نكبات متوالية وكان ارتداد ما حصل منذ عام 2003 جعلها بحال لاتقارن مع جميع مدن العراق من حيث الخسائر والاضرار ، وبدون الدخول في التفاصيل لانها معروفة من الجميع نقول ان الازمات التي مرت بها المحافظة مركبة ومتداخلة ولا نستثني مسؤولية الجميع عن ذلك من الحكومات المركزية في بغداد التي تعاقبت لادارة الحكم وكذلك الحكومات المحلية التي كانت اما فاسدة او غير فاعلة نتيجة تقاطعها وعدم انسجامها مع القوى السياسية ، فضلاً عن الضغوطات والتدخلات من خارج المحافظة لتحقيق مصالح سياسية واقتصادية مختلفة الى ان وصل الحال بهذه المدينة التاريخية ان اصبحت رقماً في معادلة التبعية وهي على سبيل المثال لم تعد قادرة ان تنافس ولو شكلياً على منصب عاصمة الاقليم السني الافتراضي او وجود من يدعو لذلك ردا على الاقل على من يحلو لهم مناداتهم بالعمام مع اكتفاء من يسمون انفسهم نواب نينوى بالمشاهدة على كل ما يحصل دون النطق بكلمة بل اكتفوا لضعفهم بدور اكمال العدد والاصطفاف خلف هذا وذاك وحسب ماتقتضيه مصالحهم الشخصية ، ودون الاطالة نقول ان كل نكبة مرت بها المحافظة والتي توجت بالخراب شبه الشامل مع دخول تنظيم داعش الارهابي وما اعقبه من عمليات عسكرية غيرت كثيراً من وجه المدينة وافقدتها الكثير من روحها الثقافية والعمرانية ، فكيف نتصور الموصل بدون منارتها الحدباء التي اقترنت باسمها وماهي دلالاتها التاريخية بدون مرقد النبي يونس عليه السلام ، وهذا ينسحب بالطبع على غيرها من المعالم الاثرية والثقافية والتي سببت انكساراً عميقاً في نفوس اهل المدينة وكان هذا هو بيت القصيد في كثير مما حصل .

ووفق هذا الحال واذا كان لابد من الحديث عن العلاقات العربية الكردية واثرها في تنمية واستقرار نينوى فا نني استأذن القائمين على الندوة كوني لا اجد ما اقوله عن العلاقة بين مكونات الشعب العراقي لانني اعتقد جازماً لو توفرت فرص العيش المشترك بدون توظيف سياسي من الاطراف كافة لتجاوزنا هذه المسألة على الاقل اسوة بشعوب الدول التي تتكون من عشرات القوميات والاطياف والاعراق وتعيش بسلام وامان بل تعلم المجتمعات الاخرى كيف تكون متسامحة وتعترف بالاخر وتؤمن بحريته ومصالحه وامنه وتحقق له العدالة في الحقوق والواجبات والمساواة امام القانون ، ولنختصر الامر ونقول ماهو مطلوب تقديمه من حكومة اقليم كردستان لمحافظة نينوى ، والتي تمثل مكونات الاقليم السياسية في المرحلة الحالية واحدة من القوى المؤثرة في المشهد السياسي العراقي ، لتجاوز المحافظة الظروف التي تعيشها في المرحلة الحالية رغم ادراكنا الظروف المالية التي يمر بها الاقليم من جانب وطبيعة مشكلاته مع المركز ، وفي البداية لابد من تقديم الشكر والتقدير لما قامت به حكومة الاقليم من جهود جبارة في استقبال الوافدين من محافظة نينوى والمحافظات الاخرى بعد احتلال داعش لها ولو هذا الموقف لنتصور حال النازحين من اهل المدينة ، والحقيقة الاساسية التي نؤكد عليها ان استقرار مدينة الموصل امنيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا يصب في مصلحة الاقليم نتيجة التقارب الجغرافي من جانب وتشابك المصالح من جانب آخر .

ووفقاً لما تمت الاشارة اليه نقدم التوصيات ادناه لتعزيز العلاقة بين الاقليم ومحافظة نينوى وبما ينعكس على تحسين الواقع الاجتماعي والتنموي فضلا عن الاستقرار الامني وكما يلي :

1. **تشكيل لجان فنية متخصصة من وزارات الاقليم ودوائر محافظة نينوى لدراسة المجالات التي يمكن ان يسهم بها الاقليم لتحسين الواقع الخدمي او الصحي او التربوي وغيرها .**
2. **الاطلاع الميداني المباشر على واقع المدينة القديمة ومحاولة الاسهام بالقدرات المتاحة والامكانات المتوفرة لاعادة الحياة اليها ليترك الاقليم بصمة واضحة في اعادة اعمار نينوى .**
3. **دراسة الدوائر المختصة في الاقليم لتخفيف بعض الاجراءات لتنقل المواطنين من محافظة نينوى ومحافظات العراق الاخرى الى محافظات الاقليم دون التأثير على الاجراءات الامنية المتخذة ، وعلى سبيل المثال النظر في تمديد مدة اقامة الدخول الى الاقليم من شهر الى ثلاثة اشهر .**
4. **تعزيز التعاون الاقتصادي بين الطرفين والعمل على زيادة فرص الاستثمار بما يخلق فرص عمل اكبر للعاطلين عن العمل فضلا عن المنافع الاخرى .**
5. **زيادة فاعلية منظمات المجتمع المدني في اقليم كردستان ونقل جزء من نشاطها الى داخل المحافظة للمساهمة الجادة بمعالجة بعض مشكلات المواطنين مستفيدة من تجربتها السابقة .**
6. **ايجاد نشاطات شبابية وثقافية واجتماعية مشتركة تخلق حالة من التقارب لاسيما بين الفئات العمرية الشبابية لانها حرمت لمدة طويلة من فرصة اللقاء او حتى زيارة محافظة نينوى .**
7. **انفتاح الاعلام في كردستان على تعزيز اواصر المحبة والتسامح وابراز فعاليات تعمق الرؤية في المشتركات لبناء مستقبل خالي من عقد الماضي .**
8. **دور العشائر العربية والكردية مهم في تمتين اواصر الانسجام والتالف عبر تكثيف اللقاءات وتبادل الزيارات ويمكن تشكيل تنسيقيات لهذا الغرض .**
9. **تطوير التعاون العلمي ووضع برامج للزيارات المتبادلة وتبادل الخبرات بين الجامعات بما يحقق الفائدة للطرفين**